طرائق وضع المصطلح العلميّ عند علماء عصر النّهضة (رفاعة رافع الطّهطاوي أنموذجا)

أ.حياة خليفاتي

جامعة مولود معمريّ، تيزي–وزو

مدخل:

شهد عصر النّهضة تطوّرات فكريّة عديدة في أوربا مع ظهور علوم جديدة كعلم الطّب وفروعه، وعلم النّبات والجيولوجية والأنتربولوجية، وغيرها. ولم تكن للأمم العربيّة نصيبا وافرا من هذا التطوّر السّريع والمذهل الذي تتّصف به الدّول الغربيّة التي أخذت تتصارع فيما بينها من أجل تحقيق الدّولة غلبتها حضاريّا وعلميّا على دولة أخرى مغلوبة. يعدّ مفهوم (الغلبة) الذي وضّحه ابن خلدون في عصره على أنّه يكمن في غلبة العرب الأعجميين حضاريّا ودينيا. وهو يشكّل عنصرا فعّالا يثير الجدال والنّقاش في عصر الغزو العلميّ والتّقني الذي يؤثّر مباشرة في اللّغة التي تنحصر في التّواصل والتّفاهم بين أفراد المجتمع. أصبح الإنسان الأوربي يتواصل بلغة مسايرة للرّكب الحضاريّ، والعلميّ، فهل هو شأن الإنسان العربيّ؟ فبالطّبع لا! نأتي إلى واقع استعمال العرب للغة العربيّة التي ننظر إليها على أنّها لغة منحصرة في الدّين، والشّعر، وفي الآداب؛ وعلى أنّها لا تستطيع أن تلتحق بهذا التطوّر الملحوظ منذ عصر النّهضة. ورغم الأحكام التي أسندت إلى اللّغة العربيّة؛ إلاّ أنّ أهلها يحاولون تطويرها وبعث الحيويّة العلميّة فيها بجهود فرديّة ترتقي إلى جهود جماعيّة على شكل مجامع ومؤسّسات تخدم اللّغة في كلّ

مستوياتها، وعلومها ومجالاتها بالتّنسيق والتّعاون. ولعوامل سياسيّة، واجتماعيّة ودينيّة، وحضاريّة دفعت علماء العرب إلى النّهوض بلغتهم وإحياء تراثهم وموروثهم اللّغوي والعلميّ اللّذين يرتبطان بمجال وضع المصطلح العلميّ. أخذ العلماء يهتمّون بوضع المصطلح في اللّغة العربيّة حماية لها، واسترجاعا لمكانتها السّابقة (ازدهارها في العصر العبّاسي الثّاني). ومن روّاد النّهضة في اللّغة العربيّة، وفي وضع المصطلح هم: رفاعة رافع الطّهطاوي، أحمد فارس الشّدياق إبراهيم اليازجي، وأحمد تيمور بصفتهم غير متخصّصين في الدّراسة المصطلحيّة. فهم يمثّلون نخبة من المفكّرين الّذين بحثوا في أساليب ترقيّة اللّغة العربيّة؛ إمّا أنّهم اتّبعوا نهج القدماء في اختيار المصطلح أو أبدعوا وسائل جديدة استعملوها في العصر الحديث. فما هي الطّرائق التي لجأوا إليها في وضع المصطلح العلميّ؟ وللإجابة عن هذا السّؤال حاولتُ أن أعالج موضوع (طرائق وضع المصطلح العلميّ عند علماء عصر النّهضة–رفاعة رافع الطّهطاوي أنموذجا) لبيان أهميّة المبادرات الأولى في إعطاء الدّفع والرّغبة للعلماء المحدثين للعناية بالبحث المصطلحيّ. إذ قسّمت الموضوع إلى عنصرين هامّين وهما:

1– آراء رفاعة الطّهطاوي في المصطلح.

2–منهجيّة وضع المصطلح العلميّ عند رفاعة الطّهطاوي.

لم يكن العرب المحدثون هم الأوائل الذين اهتمّوا بوضع المصطلحات، بل سبقهم القدماء إلى ذلك؛ ويتجلّى ذلك في تطوّر الحضارة العربيّة في العصر العبّاسي لتطوّر العلوم، والفنون، والتّرجمة التي دفعتهم إلى التّجديد والتّوليد في اللّغة، وفي المصطلح "ففي كليهما نشأت حاجات فكريّة واجتماعيّة وحضاريّة دفعت الأقلام فضلا عن الألسنة إلى توليد كثير من الألفاظ لسدّ تلك الحاجات بألفاظ وتراكيب لم تُرْوَ عمّن يُحتجّ بكلامهم من العرب القدماء. ففي مصر تألّقت في هذا المجال منذ القرن الماضي يأتي على رأسهم رفاعة الطّهطاوي، كما شارك في هذا

الجهد بعض من نزح من العالم الإسلاميّ أو من العالم العربيّ مثل أحمد فارس الشّدياق وإبراهيم اليازجي وفي لبنان نجد مجموعة ضخمة أضافت إلى حركة المصطلح دفعا جديدا منهم خليل اليازجي وبطرس البستاني ونجيب حدّاد وشاكر شقير وسعيد الشّرتوني وسليمان البستاني وأمين المعلوف. وفي سوريا يلمع اسم الأمير مصطفى الشّهابي وفي العراق أحمد رضا الشّبيبي وأنستاس ماري الكرملي"[1].

ولقد تحمّل الأفراد مسؤولية تطوير اللّغة العربيّة على عاتقهم، فاستجابوا لأداء تلك المهمّة النّبيلة إمّا بأنفسهم أو مرتبطين بمؤسّسة علميّة؛ كالمجامع اللّغوية ومكتب تنسيق التّعريب وغيرهما "وكان الهدف من اجتهاداتهم حمل الزّاد العلميّ إلى البلاد العربيّة من اللّغات الأجنبيّة إلى اللّغة العربيّة، فهم لم يتمكّنوا من وضع المصطلحات لقلّة المقابلات، في اللّغة العربيّة، اللّغة الهدف، فما كان لهم إلاّ محاولة وضع المقابلات وإيجاد المصطلحات بالألفاظ الأجنبيّة أو الأعجميّة.

1-آراء رفاعة الطّهطاوي في المصطلح:

ومن أشهر العلماء الذين اعتنوا بوضع المصطلحات وبينوا مكانته في ترقية اللغة العربية هم:

أ-رفاعة رافع الطهطاوي (1801 – 1873م): وعندما أخذت اللّغات الغربيّة تغزو لغتنا حضاريّا وعلميّا "كان رفاعة الطّهطاوي هو المبعوث الوحيد الذي تخصّص في التّرجمة من بين أعضاء البعثة العلميّة الثّانية التي أرسلها محمّد علي إلى فرنسا"[1] يعدّ رفاعة رافع الطّهطاوي من روّاد النّهضة باللّغة العربيّة الذي اهتمّ بالتّرجمة التي تكوّن عائقا للغة لعدم استقامة نظريّاتها ومناهجها. كانت الدّول العربيّة تعاني من ركود علميّ، وهي بحاجة إلى أساتذة مختصّين في العلوم وفي اللّغة قادرين على تكوين أبنائهم "تكوّن رفاعة الطّهطاوي في فرنسا ودرس فيها

وتلقى علوم الغرب وثقافتها. وحين عودته إلى مصر لقي صعوبات لتدريس العلوم خاصّة نقل الأفكار الغربيّة إلى اللّغة العربيّة. وهذه الصّعوبات هي التي دفعته إلى إنشاء مدرسة الألسن وقلم التّرجمة في عام 1835م"[2]. رأى رفاعة الطّهطاوي أنّ اللّغة العربيّة بحاجة إلى مسمّيات جديدة في العصر الذي كانت حالتها في ضعف وانحطاط مقابل اللّغات الغربيّة التي تحتلّ الرّيادة الكبرى آنذاك من حيث التطوّر الحضاريّ والعلميّ.

جاء رفاعة الطّهطاوي ليغيّر فكر مجتمعه الذي كان يسوده العقم العلميّ آنذاك "ولعلّ رفاعة رافع الطّهطاوي من أهمّ علماء القرن التّاسع عشر مساهمة في البحث عن المصطلح العربيّ المناسب للتّعبير عن المواد التّقنية الواردة من الغرب، ولنقل الأفكار التي ألّفها خلال إقامته في باريس في السّنوات 1826–1831م. ومن قراءة كتاب الطّهطاوي (تخليص الإبريز في تلخيص باريز) (الذي طبع في عام 1250ه بمطبعة بولاق) والذي أعيد إصداره في طبعة ثانية عام 1265 ه باسم (الدّيوان النّفيس بإيوان باريس)"[3]. واستمرّ اهتمام رفاعة الطّهطاوي بقضية استحداث المصطلح أثناء ممارسته للتّرجمة (ترجمة الكتب العلميّة الفرنسيّة إلى اللّغة العربيّة). وكان العنوان الأوّل الذي وضعه للكتاب من أجل ترجمة العلوم من اللّغة الفرنسيّة إلى اللّغة العربيّة لا يكفي لإيصال أفكاره ورسالته إلى الجمهور القارئ لأنّه لم يعثر على المصطلحات المناسبة في اللّغة العربيّة فاضطرّ أن يأخذ المصطلحات من اللّغة الفرنسيّة فاقتضى عليه الحال أن يغيّر عنوان الكتاب وأن يضع مصطلحات عربيّة نفيسة مأخوذة من الدّواوين ومن الثّقافة العربيّة الأصيلة. استطاع رفاعة الطّهطاوي أن يحتكّ بعلماء غربيين ومستشرقين يتقنون اللّغة العربيّة "ولربّما ازدادت حدّة هذه الصّعوبات نتيجة الاتّصال المستمّر بين الطّهطاوي من جهة والمُستعرَبين الفرنسيين البارزين آنئذٍ من مثل سلفستر دي

ساسي SYLVESTER DE SASY، وكوسان دي برسفال A .COUSSIN DE PERCEVAL من جهة أخرى، وذلك أنّ مؤلّفات هؤلاء حول جوانب مختلفة من اللّغة العربيّة، وآرائهم اللّغوية، وتمكّنهم من اللّغة العربيّة على درجات مختلفة كانت دائما تذكّر الطّهطاوي في بحث القضايا اللّغوية باستمرار"[4]. كان رفاعة الطّهطاوي يتّصف بالغيرة اتّجاه اللّغة العربيّة، ويريد الحفاظ عليها حتّى لا تضيع تقاليدنا وقيّمنا وتراثنا الغنيّ بالمفردات؛ ولكنّه يريد أن تكون اللّغة العربيّة مضاهية للغة الغربية من حيث تطوّر علومها ولمَ لا تنافسها في ذلك. وقد دفعه عامل الاحتكاك "وعلى الخصوص فإنّ اتّصال الطّهطاوي بهذا النّفر من العلماء كان يشير دائما إلى: 1- القيود التي تفرضها تقاليد اللّغة العربيّة، لاسيّما من ناحية المعاجم 2- والحاجة إلى أدوات حديثة تماثل الأدوات اللّغوية الغربيّة؛ 3- ومشاكل التّرجمة من لغة إلى أخرى"[5]. وكان رفاعة الطّهطاوي واعيا بالمشاكل التي يصادفها في اللّغة العربيّة من حيث ترجمة المصطلحات الأجنبيّة إلى اللّغة العربيّة وما حلّ من مشاكل على مستوى التّرجمة بحدّ ذاتها. كانت جهوده في التّرجمة فرديّة ثمّ تطوّرت إلى ترجمة لجهود جماعيّة "وكان هدف الطّهطاوي ترجمة أعمال المؤسّسات الفرنسيّة إلى اللّغة العربيّة ووصفها؛ وهي كثيرة منها: المؤسّسات الأكاديميّة، والمسرح، ونظام الحكومة الفرنسية، والنّظام الصّحي في باريس والقانون والمكتبات، والمتاحف، وأمور كثيرة أخرى كدور المرأة في المجتمع الفرنسي، وثورة عام 1830م، الخ"[6]. ويختلف الأمر بين ترجمة النّصوص الفرنسية إلى اللّغة العربيّة، لأنّ ثقافتنا المرتبطة بالتّعاليم الإسلاميّة تختلف عن ثقافتهم، وقوانيننا تختلف كذلك عن قوانينهم وهكذا.

فكيف يتمكّن رفاعة الطّهطاوي من ترجمة علوم الغرب وهي ليست ملكنا ولم ننتجها، فكيف يواجه هذه التّرجمة إزاء هذه الصّراعات القويّة بين اللّغتين؟ لقد وجد

رفاعة الطّهطاوي نفسه في صراع قوي بين الثّورة العلميّة الغربيّة وما يجب أن تكون عليه الثّقافة العربيّة. وكانت طريقته أن يترجم "الجملة بجمل والكلمة بجملة ولكن من غير أن يقع في الخلط بل هو دائما محافظ على روح المعنى الأصلي وقد عرف الشّيخ الآن أنّه إذا أراد أن يترجم كتب علوم فلا بدّ أن يترك التّقطيع وعليه أن يخترع عند الحاجة تغيرا مناسبا للمقصود"[7]. وحين يقبل رفاعة الطّهطاوي على ترجمة الكتب العلميّة والفنّية كان ينقل الجمل حسب معانيها أو يفسّر ويشرح الكلمة الغامضة بتوسيع معناها في جملة؛ وإذا صعبت عليه التّرجمة يخترع لفظة جديدة في اللّغة العربيّة موافقة للمعنى الوارد في اللّغة الغربيّة مراعاة لمعنى النّص الأصلي. وبعد القراءات الطّويلة لكتبه "أحسّ بهذا النّقص إحساسا قويّا وعبّر عنه في أوّل كتاب طبع له وهو كتاب (المعادن النّافعة) الذي طبع في بولاق سنة 1284هـ/1867م"[8]، حيث يقول في مقدّمته: "وقد فسّرت مفرداته على حسب ما ظهر لي بالفحص التّام وما تعاصى منها حفظت لفظة ورسمته كما يمكن كتابته به وربّما أدخلت بعض تفسيرات لطيفة والعذر لي إذا زلّ قدم ترجمتي في بعض التّفاسير لأنّ اللّغة الفرنساوية لم يفض ختامها إلى الآن بقاموس شاف مترجم"[9]. يعترف رفاعة الطّهطاوي بنقائص التّرجمات التي بادر بها في فرنسا والتي يرجعها إلى عدم وجود قواميس التّرجمة. ثمّ يلجأ إلى إعادة النّظر فيها وتصحيحها ووضعها في حلّة جديدة في هذا الكتاب الجديد. لم يكن يعترف فقط بتلك الصّعوبات، بل كان يتأثّر بغيره "إنّ عدم توفّر المعاجم الفرنسيّة–العربيّة، وغياب المصطلحات العربيّة المناسبة للتّعبير عن الأفكار الغربيّة، والمستحدثات الحضاريّة دفع الطّهطاوي إلى الابتكار، ومثال على ذلك، وضع الطّهطاوي قائمة مفردات علميّة (جوهرية) عندما دفع (قلائد المفاخر في غريب عوائد الأوائل والأواخر) للطّبع عام 1249هـ/1834م؛ إمّا في بداية الكتب التي ترجمها أو في نهايتها ولقد تمكّن الطّهطاوي من تأليف هذا الكتاب مستفيدا من المعجم الذي ألّفه أليوس بقطر

ALIOS BAKTOR وهو أوّل معجم فرنسي عربي نشر في باريس عام 1828م"[10]. ويرجع سبب هذا النّقص الكبير للمصطلحات العربيّة إلى عدم وجود معاجم ثنائية أو مزدوجة اللّغات عربيّة–فرنسيّة تساعد رفاعة الطّهطاوي في التّرجمة ما عدا المعاجم الفرنسيّة التي اطّلع عليها واستفاد منها.

وهو أوّل قاموس عربيّ–فرنسيّ وصف فيه المنهجيّة المتّبعة لوضع المصطلحات وترجمتها. ولم يتمكن رفاعة الطّهطاوي من تصحيح أخطاء القاموس لوفاته فقام كوسان دي برسفال بهذه المهمّة "ويذكر أسماء الكتب التّالية التي حوت مثل هذه القوائم: "التّعريبات الشّافية لمريد الجغرافية"، و"قلائد المفاخر"، و"مبادئ الهندسة"، و"المعادن النّافعة". وبالإضافة إلى ذلك، شجّع الطّهطاوي المترجمين الآخرين في (مدرسة الألسن) على إتّباع المنهج نفسه وطالب زملاؤه وطلاّبه أن يضيفوا قوائم المصطلحات المستنبطة إلى ترجمة كلّ كتاب يقومون بها"[11]. كان وضع الألفاظ وجمعها في القاموس يشبه أعمال اللّغويين القدامى؛ كالخليل الذي لم يكمل كتابة كتابه إلاّ على يد تلامذته أو يشبه فرديناند دي سوسير FERDINAND DE SAUSSURE الذي جمعت محاضراته على يدي سي شوهاي SI CHUHAY وآلان بالي BALLEY. لا يكمن المشكل في جمع الأعمال، وإنّما في مدى صحّة ما ينقلونه من صاحبه من مصطلحات صحيحة وسليمة دلاليا. واعتقد الطّهطاوي أنّه بمرور الزّمن سيتكوّن في اللّغة العربية "...قاموس مشتمل على سائر غريب الألفاظ المستحدثة التي ليس لها مرادف أو مقابل في لغة العرب أو التّرك..."[12]. ليس هَمُ الباحثين الجري نحو اصطياد الألفاظ الغريبة التي لا يستعملها المجتمع والتي لا تخدم التطوّر العلميّ، وإنّما السّعي إلى اصطياد ألفاظ مُجارية للزّمن والتّحضر. وكالعادة يهتمّ العلماء بجمع الألفاظ المستعملة في كلّ عصر ويتجنّبون المهمل؛ وهذا ما فعله الخليل في كتابه (العين) والجرجاني في كتابه (التّعريفات) والخوارزمي في (مفاتيح العلوم) وابن منظور في (لسان

العرب). وكان مقصد رفاعة الطّهطاوي من وراء تقدّم هذا المعجم تنمية اللّغة العربيّة قائلا: "ولمّا كانت هذه الألفاظ في الأغلب أعجميّة لم ترتّب إلى الآن في كتب اللّغة العربيّة وكان يتوقف فهم هذا الكتاب عليها عرّبناها بأسهل ما يمكن التّلفظ به فيها على وجه التّقريب حتّى أنّه يمكن أن يعتبر على مدا الأيّام دخيلة في لغتنا كغيرها من الألفاظ المعرّبة الفارسيّة واليونانيّة"[13]. يظهر أنّ رفاعة الطّهطاوي انطلق من التّرجمة لنقل المصطلحات إلى اللّغة العربيّة فكان مقلّدا للتّرجمة التي أسّسها يوحّنا ابن اسحاق وأتباعه؛ وحتى المراجعات التّرجمية كانت تشبه تلك المراجعات التي قام بها الغافقي الأندلسي وابن البيطار، وابن سينا مشابها المفردات الفرنسيّة التي ترجمها في عصره بالمفردات الأعجميّة اليونانيّة والفارسيّة المترجمة إلى اللّغة العربيّة. ونفهم أنّ نقل العلوم في عصر النّهضة بمثابة نقلها في العصر العبّاسي وكأنّ العصرين (العبّاسي وعصر النّهضة) متشابهان من حيث التطوّر الحضاري والفتوحات الإسلاميّة التي نقابلها تماما بالإصلاح الدّيني في عهد الطّهطاوي. وهذا ما عبّر به رفاعة الطّهطاوي عن موقفه من التّعريب الذي امتدّ حتى إلى أسماء البلدان، فقال في مقدّمة كتابه (التّعريبات الشّافية): "واعلم أنّه قد تمرّ عليك أسماء بلدان أبقيناها على أسمائها الفرنساوية، إمّا لاشتهارها في هذا العهد بتلك الأسماء كجزيرة سرنديب، فإنّها الآن تسمّى جزيرة سيلان، واشتهرت عند عامّة النّاس بهذا الاسم... وإمّا لعدم الوقوف على الاسم العربيّ كتعريبه أسماء البلاد والأشخاص مثل تعريبه إبريزيله – اسلنده – باسيفيك –بريطانيا –سويد شتلاند– فرموزا...الخ"[14]. وهو لم يميّز بين المُعرّب والدّخيل من خلال قوله الذي ذكره في مقدّمة كتابه، وحتّى من خلال الأمثلة التي صنّفها في كتبه، لأنّ تلك الألفاظ معظمها من أسماء البلدان أو الأشخاص. ولم يترجم تلك المصطلحات الفرنسيّة إلى اللّغة العربيّة، بل تركها كما اقتبسها من لغة المصدر (اللّغة الفرنسيّة) ولم يغيّر من شكلها حين وضعها في اللّغة العربيّة، ولم يُعرِّبها بل هي دخيلة.

ويتّضح أنّ رفاعة الطّهطاوي تأثّر برأي العلماء القدامى الذين لا يميّزون بين الدّخيل والمُعرّب كالجواليقي، والخفاجي وغيرهما. في حين أنّ المحدثين ميّزوا بينهما، وإبراهيم أنيس خاصّة. ولعدم توضيح مفهومي المُعرَّب والدّخيل عند رفاعة الطّهطاوي، وبعد دراسة آرائه وكتبه توصّل العلماء كحلمي خليل وإيمان السّعيد جلال إلى عرض المنهج المتّبع في وضع المصطلحات عند رفاعة الطّهطاوي وهو كالآتي:

2- منهج رفاعة الطّهطاوي في نقل المصطلح: لقد اتّبع علماء النّهضة منهجيّة القدامى في وضع المصطلح العلميّ، واتّخذوا التّرجمة كطريقة أساسيّة مكّنتهم من تحديد الطّرائق اللّغوية الأخرى مثلما فعل القدماء تماما. وفي هذا الصّدد تحدّث د/جمال الدّين الشّيال عن موقف رفاعة الطّهطاوي ومدرسته من ترجمة المصطلح الأجنبيّ إلى العربيّة فقال: "أمّا المشكلة كلّ المشكلة عند المترجمين في عصر محمّد علي كانت في محاولات نقل الألفاظ والمصطلحات العلميّة الأوربيّة إلى اللّغة العربيّة أو التّركية"[15]. وربّما من السّهل أن نقول إنّ التّرجمة هي نقل الأساليب والأفكار والأدوات من لغة إلى أخرى بشكل وصفيّ، ولكن حين نذهب إلى الميدان تظهر الصّعوبات لأنّ المتقن للغة الأجنبيّة لا يستطيع نقل الألفاظ إلى اللّغة العربيّة وهو لم يعتاد عليها فيقتضي أن يكون المترجم ممارسا للغتين أو أكثر نطقا وكتابة "ولو كانت اللّغة العربيّة تكتب بحروف لاتينية، أو لو أنّ اللّغات الأوربيّة كانت تكتب بحروف عربيّة لسهّل العمل على المترجمين قليلا، فإنّ رسم اللّفظ – الذي تصعب ترجمته من لغة إلى لغة أخرى تشبهها في رسم الحروف- يسهل على القارئ قراءته قراءة صحيحة، وقد يعينه على فهم معناه إذا كانت اللّغتان متشابهتين أو متقاربتين أو منحدرتين من أصل واحد"[16]. لا تعود صعوبة التّرجمة من اللّغة الغربية إلى اللّغة العربيّة إلى عدم انتماء اللّغتين إلى فصيلة لغوية واحدة، لأنّ لو

حدث العكس سندرك أنّ اللّغتين ستتداخلان وتشتركان في مفرداتهما مثلما لاحظنا ذلك على مستوى اللّغات الأوربيّة فيما بينها أي اللّغات الهندأوربية. فبالنّسبة للغة العربيّة فالأمر يختلف، لأنّها تتصف بخصائص لغوية صوتيّة، وصرفيّة، ونحويّة ودلاليّة تختلف عن الخصائص اللّغوية الأوربيّة. فلنتصوّر اللّغات الأوربيّة تكتب بالحرف العربيّ أو تكتب اللّغة العربيّة بالحرف اللاّتيني، فالمشكل ليس مطروحا على مستوى الكتابة، لأنّ هناك كتابة صوتيّة دوليّة بإمكانها أن تستغني عن الكتابتين (العربيّة واللاّتينية) وللكتابة قواعدها تختلف من لغة إلى أخرى. ويتمثل لبّ المشكل في كيفية نقل المعنى الأصلي إلى لغة الهدف بحيث حين نقرأ النّص المترجم نشعر وكأنّه ترك بصماته في النّص الأصلي. ولا يتمّ هذا التّواصل المتكامل بين النّصين إلاّ بفك الغموض على المصطلحات الواردة في النّص الأصلي، والبحث عن مصطلحات مقابلة لها. وواصل د/الشّيال حديثه عن موقف رفاعة الطّهطاوي ومدرسة الألسن في نقل المصطلح فقال: "فقد حاولوا أوّلا إيجاد ألفاظ ومصطلحات عربيّة تقابل الألفاظ والمصطلحات الأوربيّة، بل إنّنا لنلاحظ هؤلاء المترجمين لم يكونوا جامدين ولا متزمّتين، ولم يقيّدوا أنفسهم بالألفاظ العربيّة دائما فكانوا إذا وجدوا أنّ اللّفظ العربي قد أهمله المتكلّمون بالعربيّة أنفسهم وبدأوا يستعملون اللّفظ الأوربي أو لفظا قريبا منه فصّلوا اللّفظ الجديد على اللّفظ القديم"[17]. بذل المترجمون مجهودات من أجل إعادة الاعتبار للغة العربيّة وذلك بترجمة المصطلحات الغربيّة إلى اللّغة العربيّة. فكانوا يبحثون على المصطلح الذي يماثل المقابل الأوربي من حيث المفهوم. وفي حالة عدم وجود المصطلح العربيّ يحافظون على المقابل الأجنبيّ شرط أن يُعرِّبوه وذلك بإحياء المصطلح العربيّ القديم بمفهوم جديد، فلجأ إلى التّرجمة بمختلف أساليبها وهي:

أ- **التّرجمة بالمعنى:** وقد يترجم رفاعة الطّهطاوي بالمعنى، فيبحث عن لفظ عربيّ يتوافق مع ذلك المدلول الذي يحمله اللّفظ أو المصطلح الأجنبيّ. فيترجم pièce de théâtre إلى (اللّعبة) لأنّ مصطلح (مسرحية) لم يكن معروفا آنذاك يقول: "واللّعبة التي تظهر تُكتب في ورقة وتلصق في حيطان المدينة، السّبكتاكل اسم لملعبة ببلاد الإفرنج"[18]. جاءت ترجمة المصطلح الأجنبيّ إلى لفظة (اللّعبة) حسب الوظيفة التي تؤدّيها المسرحية والشّخصيات التي تمثّلها. وتطلق لفظة (اللّعبة) على كلّ نوع ووسائل اللّهو والانشراح والضّحك، فهي تدلّ على معنى لغويّ؛ ولا يمكن أن تشمل معنى المسرح الذي يمثّل ذلك الفرع الأدبيّ والفنّي. كما استعار للمسرح théâtre اسم مكان من الفعل لعب وهو (ملعب) وأنّثه فأصبح (ملعبة) أي مكان اللّعب، أطلق رفاعة الطّهطاوي مكان المسرح تسمية (الملعب أو الملعبة) ولفظة الملعب شائعة لمكان لعب كرّة القدم والكرّات الأخرى، وحتّى كلمة سبكتاكل لا يمكن أن نطلقها على مكان الملعب عند الإفرنجيين، وإنّما عبارة عن ذلك الوضع التّمثيلي للمسرحية الذي يبعث في نفوس الجمهور الضّحك والعبث.

ب- **الترجمة الحرفيّة:** وقليلا ما نجد عند رفاعة الطّهطاوي التّرجمة الحرفية لبعض الألفاظ أو المركّبات فيقول مثلا عند خريج المعهد العلميّ (تلميذ قديم) ترجمة حرفيّة لـــ ancien élève فيقول عن مسيو شواليه إنّه تلميذ قديم من تلامذة مدرسة العلوم. أمّا (المظلّة) فقد ترجمها (وقاية المطر) ترجمة حرفية لـــ parapluie، فالسّابقة para تعني وقاية أو حماية، وpluie هو المطر، يقول: "أمّا ما يستعينون به على التّوقي من ضرر المطر فهو المظلاّت المسمّاة في مصر بالشّمسيات يعني وقايات الشّمس، وتسمّى تلك عند الفرنساوية وقاية المطر. والطّريف أنّ رفاعة ذكر المقابل المعروف في العربيّة وهو (المظلّة الشّمسية) لكنّه أثر التّرجمة الحرفيّة، لأنّها تستخدم في فرنسا –أساسا– وقاية من المطر وليس

وقاية من الشّمس أو طلبا للظّل"[19]. لم يحاول أن يجد مقابلا عربيّا يحمل وحدة مفردة غير مركّبة في اللّغة العربيّة، وهي موجودة في قواميسنا العربيّة القديمة، بل يفضّل أن ينسخ مصطلحاته على حسب مكوّناتها في اللّغة الفرنسية؛ ممّا أدّى إلى التّرجمة الحرفيّة للمصطلحات. ومن المفروض أن لا يقارن رفاعة الطّهطاوي بين بنية المصطلحات الأجنبيّة وبين بنية اللّغة العربيّة، لأنّ التّرجمة الحرفيّة لا تفي دائما بصواب المصطلح فنحن نستعمل المظلّة فيقتضي التّمسك بهذا المصطلح الفصيح الشّائع في المعاجم اللّغوية والمتداول عند معظم المجتمعات العربيّة.

ج- التّرجمة إلى مفردات عصره: وقد يستخدم رفاعة الطّهطاوي في ترجمة بعض المصطلحات مفردات كانت شائعة في عصره منها الفصيح، ومنها العامي؛ ممّا لم يعد مستخدما أو شائعا في وقتنا الحاضر. وقدّم لنا أمثلة في هذا المنوال "فقد عبّر عن الثّورة بالفتنة أو القيامة، فقال عن ثورة الفرنسيين سنة 1830م (قيامة الفرنساوية)"[20]. إنّ لانتشار الألفاظ الفرنسية أثناء الاحتلال الفرنسيّ في مصر أدّى إلى ترجمة المصطلحات الفرنسيّة إلى اللّغة العربيّة خوفا من ترك تلك اللّغة آثارها في المجتمع العربيّ. كما ذهب إلى استعمال التّرادف أو المرادفات الخاصّة لموضوعات الفتنة والقيامة للدّلالة على لفظة الثّورة التي لها معناها الخاص يختلف عن معنى الفتنة والقيامة التي ترتبط بيوم القيامة، واستعماله مصطلح الفردة للضريبة فيظهر أنّه مصطلح غريب في سماعنا ليس مستساغا في لغتنا فيتطلّب أن يكون المصطلح قابلا للمقبوليّة والدّقة، وأن يكون فصيحا وواضحا.

د-الترجمة إلى المقابل الشّائع في العاميّة: وحين يستحيل على رفاعة الطّهطاوي وضع المصطلح الفصيح يذهب إلى العامي لشيوعه؛ وهو العيب الذي نعيبه لرفاعة الطّهطاوي. وبفضل العلماء الذين جاؤوا بعده وبصفتهم متخصّصين في مجال المصطلحات فهم أدرى بكلّ المصطلحات التي دخلت اللّغة العربيّة ما إذا

كانت فصيحة أو عامية، لأنّهم ملمّين أوّلا بتاريخ اللّغة العربيّة، وأصول كلماتها ومشتقاتها، وبحثوا في المصطلحات الواردة في الكتب والمعاجم القديمة.

ه- التّرجمة بالنّقل إلى المصطلح أو لفظ الحضارة المُعرّب عن الفارسية أو التّركية: وقد سادت مفردات ومصطلحات اللّغة التّركية المصطلحات العسكريّة خاصّة "فالتركية كانت اللّغة الرّسمية آنذاك، بالإضافة إلى أنّ معظم من ألحقوا بالمدارس الحربيّة عند إنشائها كانوا أتراكا أو ناطقين بالتّركية، ولذلك نشطت حركة ترجمة الكتب العسكريّة من الفرنسيّة إلى التّركية مباشرة أو مرورا بالعربيّة أحيانا، ومن ذلك: آلاي، ورد مجموعا (آلايات) في قول رفاعة الطّهطاوي: "وانظر إلى ترتيب أمر العساكر الجهادية من آلايات ومدارس حربيّة" وألاي لفظ تركي يعني جماعة أو فرقة، سواري: وردت في قول رفاعة في النّص السّالف الذّكر الذي تضمن جيادة وسواري وطوبجيات، وسواري كلمة فارسية تعني "راكبي الخيل" أو "الفرسان" وأصل معناها الرّكوب، ركوب دابّة أو سيارة أو سفينة"[21]. وبما أنّ اللّغة التّركية هي اللّغة الغالبة في مصر فكان معقولا أن تتسرّب الألفاظ التّركية إلى اللّغة العربيّة. وهذا ما دفع رفاعة الطّهطاوي إلى ترجمة المصطلح الفرنسيّ إلى اللّغة التّركية أو الفارسيّة ثمّ تعريب تلك المصطلحات " تُعَد هذه المصطلحات من النّماذج التي اعتمد عليها النّقل إمّا إلى اللّغة التّركية أو الفارسيّة وحتّى العاميّة. ولم يذهب إلى البحث عن المصطلحات العربيّة الأصليّة ليستغني عن تلك المفاهيم الغريبة التي لا تخدم اللّغة العربيّة في العصر الآني ممّا يدّعي النّقص من حدّتها واستبدالها بألفاظ من اللّغة الأصليّة.

ولهذا اتّخذ منهجه اتّجاهين اثنين هما:

أ- **اتّجاه نحو التّوليد المقصود:** وهو اتّجاه اعتمد فيه طريقتين وهما:

1- الطّريقة الأولى: وتتجلّى هذه الطّريقة في "استعمال ألفاظ عربيّة خالصة مفردة أو مركّبة لتعطي دلالة جديدة"[22]. يولد المصطلح عن طريق إحياء ألفاظ قديمة وفصيحة وأصلية تدلّ على المفهوم الجديد؛ فمن أمثلة الطّريقة الأولى في كتاب (تخليص الإبريز) وهي من حيث:

* **الألفاظ المفردة:** وتقوم على توليد المصطلحات بمفردها دون تركيبها وهي: "**المتولي:** الحاكم، **الإرساليّة:** البعثة **الطّبائعية:** علماء الطّبيعة، **الرّسل:** النّواب في الجمعيّة الوطنيّة، **العمالة:** الدّائرة الانتخابية أو المقاطعة أو الحيّ **السّميات:** الحشرات السّامة"[23]. استمدّ رفاعة الطّهطاوي هذه المولّدات من اللّغة العربيّة بصفتها أصليّة ومفردة ليست مركّبة. فمصطلح (المتولي) مشتقة من الفعل (ولّى) وتولّى الحكم، والإرسالية من أرسل، والطّبائعية من طبع يطبع والطّبيعة والرّسل نسبة إلى الرّسل الذين بعثهم الله عز وجل، العمالة من عمل يعمل والسّميات من السّم. فهذه المصطلحات التي أحياها رفاعة الطّهطاوي ليست مستعملة لدى الجمهور الذي يقول له (الحاكم) عوض (المتولي) و(البعثة) عوض (الإرسالية) و(الطّبيعيون) عوض (الطّبائعية) و(النّواب) عوض (الرّسل) و(المقاطعة) عوض (العمالة) وغيرها من المصطلحات التي تخدم المجتمع المصري الذي يتّصف حكمه آنذاك بالحكم الملكي، فتغيرت التّسميات في العصر الحديث لتغيّر نظام الحكم وتطوّر فكر المجتمع.

* **التّراكيب:** ويتمّ وضع المصطلح بالتّركيب "وكلّها تدلّ على أشياء ماديّة أو معنويّة لم تعرفها اللّغة العربيّة من قبل وبعضها عرفته العربيّة بأسماء نقل رفاعة دلالتها إلى معان جديدة منها: فنّ المياه: الهيدروليكي hydraulics جاذبية المحاكة: الكهرباء، بيت الصّحة: المستشفى، طبّ البهائم: البيطرة، ميزان الحرّ: ميزان الحرارة، النّظرات المعظمة: الميكروسكوب أو المجهر"[24]. استعمل التّراكيب

عوض المصطلحات المفردة العربيّة، لأنّ هذه الأمثلة التي صنّفها تحمل سمة الحداثة والتّكنولوجية التي لم يعهد إليها السّابقون. فلم يجد لها مقابلا في اللّغة العربيّة فاضطرّ إلى التّركيب حتّى يعطي للغة العربيّة نصيبها من المصطلحات. كما تعامل المحدثون من الأخصائيين بهذه الطّريقة؛ كعبد السّلام المسدّي، وبسّام بركة، والمؤسسات المجمعيّة؛ كمجمع القاهرة، ومكتب تنسيق التّعريب. وأرى أنّ (فنّ المياه) الذي أطلقه على (هيدروليك) لا يدخل في إطار التّفنن بالماء، وإنّما أفضل لو أطلق عليه تسمية (علم المياه) لأنّه أقرب إلى دراسة مكوّنات الماء وفوائده للبيئة. وجاء استعمال المركّب (جاذبية المحاكة) التي تدلّ على الكهرباء وهي الأقرب إلى واقع الممارسة لها، لأنّ حين نقول (جاذبية) نفهم جاذبية الأرض وهناك الجاذبية الكهربائية بينما أضيفت كلمة (المحاكة) إلى جوارها، وهو لفظ غامض. فهذه المركّبات تزيد للمصطلح غموضا وهي معقدة البنية ليست سهلة مثلما نلاحظ ذلك على مستوى المصطلحات المفردة.

2- **الطّريقة الثّانية:** تقوم على توليد المصطلح بأساليب "الاعتماد على بعض الكلمات الأجنبيّة التي يجد لها نظيرا في اللّغة العربيّة فيشتق منها على طريقة اللّغة العربيّة ألفاظ جديدة"[25]. يأخذ اللّفظة الأجنبيّة التي يقترضها فيشتق منها لفظة جديدة يستخدمها في اللّغة العربيّة؛ ومن أمثلة الطّريقة الثّانية هي:

***اللّفظة المفردة:** دخلت نتيجة احتكاك اللّغة العربيّة باللّغة الإيطاليّة، وفي مثل: "لفظ (الكرنتينة) والتي دخلت العربيّة من الإيطالية: quarantina منذ بداية عهد محمّد علي ومعناها الحجر الصّحي، فنجد رفاعة يشتق منها المصدر الكرتنة، ثمّ الفعل المضارع يكرتن"[26]. لا يعقل أن يأخذ لفظة أجنبية ويشتق منها لفظة جديدة للتّعبير عن ذلك المعنى العلميّ الذي عبّر عنه في اللّغة العربيّة، وأفضل لو بحث

في المصطلحات العلميّة القديمة في مصنّفات ابن سينا، وابن الهيثم والخوارزمي ربّما سيجد مصطلحا عربيا يقابل ذلك المفهوم الجديد.

***التّراكيب:** تأتي المصطلحات المولّدة المشتقة من اللّغة الأجنبية على شكل مركّب لا على شكل اللّفظة المفردة. ومن هذه الأمثلة التي أخذت من "كتاب (تلخيص الإبريز): أكدمة الحكمة: أكاديمية الطّب، أيّام الكرنوال: الكرنفال، كما استعمل كلمة ديوان وهي لفظة فارسية مثل: ديوان الملك– ديوان رسل العمالات– ديوان الدّولة واستعمل أيضا لفظة بيمارستان وهي من الألفاظ المعربة في العصر العبّاسي عن الفارسية وهي كلمة مركّبة من مقطعين: بيمار ومعناها مريض وستان وهي لاحقة suffixe في اللّغة الفارسية وتدلّ على المكان أي بمعنى المستشفى"[27]. تتصف هذه المركّبات بالاقتراض اللّغوي بنوعيه الدّخيل كلفظة الكرنوال التي استبدل صوت الفاء بالواو وهو يماثل تماما ميزان لفظة الكرنفال والجورنال بإضافة كلمة أهل لتصبح أهل الجورنال، الكلمة الأخيرة التي تدل على معنى الجريدة، وعندما نقول أهل الجورنال لا نفهم فقط معنى المحرّرين وإنّما كلّ الذين يساهمون في خدمة هذه الجريدة. كما اقتبس ألفاظا فارسيّة، وهي واردة في الأمثلة وهو دلالة على أنّه تأثّر بمنهج الأقدمين.

- 2)– **اتّجاه نحو المولّد غير المقصود:** إذا كان الاتّجاه الأوّل يخدم التّوليد المقصود، فإنّ الثّاني يقوم على توليد المصطلحات بطريقة غير إراديّة "وهو ما كان يقع في لغة رفاعة من الألفاظ المولّدة قديما أو من مولّدات رفاعة نفسه التي لا يقصد بها مصطلحا معيّنا وإنّما كانت تقع في لغته عفوا تدفعه في ذلك أحيانا مقتضيات التّعبير اللّغوي في عصره"[28]. وهو ذلك المُولّد من المصطلحات التي يبدعها اللّغوي بطريقة عفويّة، وبالصّدفة دون أن يهيّئ الألفاظ التي يجب أن

يستخدمها للتّعبير عن أغراضه، فيضطرّ في بعض الحالات إلى توظيف مصطلحات بطريقة مرتجلة. وتتمثّل في:

***الألفاظ المفردة:** وهي عمليّة توليد ألفاظ ذات بنية مفردة مثل: "الميقاتية: الذين يحدّدون الوقت، العمارة: الحضارة، الحكماء: الأطباء"[29]. استعمل رفاعة الطّهطاوي ألفاظا فارسيّة وأعجميّة مثل: الميقاتية وألفاظا عاميّة تنتمي إلى الدّارجة المصرية؛ كالسُّفرَة التي تدلّ على مائدة فيها الطّعام، النّوبة: المرّة بعد المرّة. وخلط بين بعض المفاهيم مثل اعتباره الحكيم بمعنى الطّبيب، ويطلق على هذه الدّلالة قديما، لأنّ معنى الحكماء الذي أصبح يطلق على كلّ شخص نبيل يتّصف بالحكمة ولا يخص فقط الطّبيب، المكتوب: الخطاب، هناك تناقض بين معنى المكتوب وبين معنى الخطاب؛ وربّما أخذ باللّفظين من الدّين، لأنّ المكتوب يشير إلى خطاب الله عزّ وجلّ. وإذا أخذ هذا المصطلح من هذه النّظرة فهو صحيح، وإذا أخذه من مستوى معنوي آخر فالأمر يختلف تماما بين المعنيين، الأوّل يدلّ على ما هو مكتوب في جبيننا، والثّاني يدلّ على أيّ خطاب يلقى قد يكون خطابا دينيا سياسيا علميّا أو أدبيّا. وفي هذه الحالة لا يمكن أن نحصر معنى الخطاب بشكل دقيق، فهو يتطلّب منّا إعادة النّظر في كيفية وضع المصطلح عند رفاعة الطّهطاوي، وفي زمنه خاصّة.

***التّراكيب:** جاءت على شكل المركبّات الاسميّة أو الفعليّة، في مثل: "– رسم اسمي في جملة المسافرين: أي وقع عليه الاختيار للسّفر، يأكلون على كيسهم: أي على نفقتهم الخاصّة، انحطّ عليه الرّأي: أي استقرّ"[30]. أظنّ أنّ هذه المركّبات التي جاءت على شكل جمل إمّا اسميّة؛ كالمثال الأوّل، وفعليّة كالأمثلة الثّانية والثّالثة لا تُتمّم المفهوم الشّامل للمصطلح، لأنّها توسّع في المعنى وتفسّره، وهذا ما لا يجوز أن يكون في وضع المصطلح، وربّما لم يجد مصطلحا بسيطا لنقل فكرته فاضطرّ

إلى استعمال هذا الأسلوب الواسع، وفي بعض الأحيان الخيالي، وهو ما لا يجوز أن يتوفّر في المصطلح العلميّ.

كما غلب في كتبه المصطلح العاميّ في كتابه (تلخيص الإبريز) خاصّة، وذلك لتعصّب رفاعة الطّهطاوي للغة العربيّة الفصحى. وقد لاحظ ذلك المستشرق الفرنسي سلفستر دي ساسي عندما قرأ مخطوطة كتابه لأوّل مرّة. يعود سبب أخذ رفاعة الطّهطاوي بالألفاظ العاميّة إلى استعجاله لوضع أيّ لفظ عربيّ حماية للغة العربيّة حتّى لا تضيع بين أيدي أهلها؛ وهذا ما فعل به أبو زيد الأنصاري والأصمعيّ، والخليل، وسيبويه أثناء جمع اللّغة العربيّة حفاظا عليها. وقد أحصى الدّكتور أحمد بدوي كلّ العبارات والكلمات العاميّة في هذا الكتاب، قائلا: "ونستطيع أن نتبيّن منها ما تغلبت عليه اللّغة الفصحى من الألفاظ العامية في لغتنا الدّارجة إذا نحن وازنّا هذا المعجم العامي بما أصبحنا نتحدّث به بدلا من هذه الألفاظ العامية"[31]. يوضّح لنا أنّنا لو نقيس مقدار الألفاظ الفصيحة بمقدار الألفاظ العاميّة سنجد أنّ الألفاظ العاميّة هي الغالبة في هذا القاموس. فما مكانة اللّغة العربيّة الفصحى إن لم تثبت مكانتها بمصطلحاتها الفصيحة؟

ويدلّ هذا على أنّ رفاعة الطّهطاوي لم يقصد تشويه اللّغة العربيّة بالألفاظ العاميّة؛ وإنّما إنقاذها ريثما يأتي العلماء اللاّحقون لإيجاد البدائل لتلك المصطلحات التي ظهرت في عصره وعلى أنّها بإمكانها أن تتخذ مفاهيم جديدة في عصر آخر. اعتمد رفاعة الطّهطاوي على صوغ المصطلحات أساسا على التّرجمة، ثمّ على التّعريب "فإذا لم يتمكّن منهما وصف الشّيء في مثال مجمع اللّغة: "جمعية تشتغل بعلوم الإنشاء والبلاغات، والغرض من هذه الجمعيّة تدوين العلوم الأدبيّة، وحفظ غريبها حتى لا تفسد لغة الفرنسيين. كما فعل لكلمة الدّستور أصلها فارسية فلم يحاول أن يستبدلها بمصطلح عربيّ لتقرّبها من الشّريعة فيمكن أن يطلق عليها "التشريع" أي تشريع الأحكام وقوانين الدّولة. ولم يربط بين اللّفظ ودلالته على

مجموعة القواعد الأساسيّة التي تبيّن شكل الدّولة ونظام الحكم فيها ومدى سلطتها إزاء الأفراد"[32]. وإذا تعثّرت الوسائل اللّغوية المذكورة آنفا، يلجأ إلى وصف المصطلح وهو نوع من أنواع التّعريف الوصفيّ الذي تطرّق إليه القدماء لتفسير المصطلح وشرحه. ويبيّن رفاعة الطّهطاوي أنّه الأوّل الذي أبدع مصطلح (النّشر) الذي لم يرد في اللّغة العربيّة من قبل بالمفهوم الذي عبّر عنه، والذي أصبح شائعا في عصرنا الحالي. كما أضاف الكثير من الألفاظ التي شرحها بشكل وصفي كتذكرة التي تطوّرت دلالتها من معنى الصّحيفة إلى معنى بطاقة خاصّة لدفع السّفر وهو المعنى الشّائع حاليا. لم يقتصر العمل على وضع الدّلالات للمصطلحات السّياسية فحسب، بل فعل ذلك مع مصطلحات العلوم والفنون كالطّب، والطّبيعيات والكيمياء.

كان رفاعة الطّهطاوي يراعي نوع العلاقة القائمة بين المصطلح ومفهومه واللّفظ المقابل "فاعتمد على شرطين متلازمين، أوّلهما: الفهم الدّقيق لمفهوم المصطلح الأجنبيّ، وثانيهما: أن يكون المصطلح العربيّ المقابل مناسبا لفظا وصياغة، خاليا من الشّذوذ والإغراب في أصواته وبنائه بحيث يسهل استخدامه بطريقة تعمل على استقراره وانتشاره في الوسط العلميّ المعيّن، فإذا كان المصطلح العربيّ المناسب موجودا بالفعل فيها ونعمت، وإلاّ لجأنا إلى ابتكاره بطريقة التّوليد–حسب د/كمال بشر"[33]. وتتمّ عمليّة ترجمة المصطلحات عن طريق إحياء ألفاظ التّراث أو التّوليد بالاشتقاق، والنّحت، والتّركيب، وتوسيع المعنى. وكان يصنّف المصطلحات الطّبية حسب علومها "والعلوم الطّبية التي تسمىّ أيضا علم الحكمة هي: علم الطّب والجراحة والتّشريح، وفنّ الفسيولوجية، ومعرفة داء الإنسان من حاله، وسياسة الصّحة لحفظها، أو تطبيب الحيوانات وغيرها"[34]. يرى أنّ علوم الطّب la médecine التي كانت تدلّ على علم الحكمة في الدّراسات الطّبيّة القديمة كالخوارزمي الذي أشار إلى أنّ الطّبيب بمثابة الحكيم. وفي العصر

الحديث ميّز العلماء بين مفهوم الطّبيب والحكيم، وكلّ واحد منهما يدلّ على معناه الخاص. وأضاف علم الجراحة la chirurgie وعلم التّشريح l'anatomie وهما يستخدمان بنفس المفهوم في يومنا هذا وحتى اتّحاد الأطباء العرب أشار إلى المصطلحين وصنّفهما في معجمه الطّبي الموحّد. وتحدّث رفاعة الطّهطاوي عن فنّ الفسيولوجية الذي يدلّ على وظائف أعضاء جهاز الإنسان أو الحيوان وترك بنية اللّفظة الدّخيلة كما هي واردة في اللّغة الأجنبية la physiologie فلم يحاول أن يترجمها إلى اللّغة العربية ولا أن يُعرِّبها. استعمل المركّب (تطبيب الحيوانات) وهو يشكّل مصطلح (الطّب البيطري) أو (البيطرة) médecine vétérinaire الشّائع حاليا و(سياسة الصّحة لحفظها) أي حفظ الصّحة فهو مقابل hygiène بمعنى حماية الصّحة بالنّظافة.

كما تأثّر بعلماء الطّب القدماء "ولقد أخذ المصطلحات العلميّة العربيّة بتعريفاتها من المعجمات العلميّة العربيّة كمفاتيح العلوم للخوارزمي والفهرست لابن النّديم وفي كشف الظّنون لحاجي خليفة وفي طبقات الأطباء لابن أبي أصبيعة وكتاب في حفظ الصّحة لأبقراط وابن الهيثم وأبي بكر الرّازي وغيرهم"[35]. وأحيانا يصيب رفاعة الطّهطاوي في وضع بعض المقابلات للمصطلحات الطّبيّة، وأحيانا أخرى لا يحقق ذلك؛ والدّليل على ذلك قوله: "ثمّ إنّ فروع العلوم الطّبية كثيرة، فالمشهور منها فنّ التّشريح، وفنّ تمييز أمراض الإنسان من حال طبيعته وفنّ الكيمياء العقاقيرية، وفنّ أسباب الأمراض الباطنيّة الطّبية، ووضع العصابة على الجراح والتّضميد بالمراهم، وفنّ تطبيب ملازم الفراش المبتلي بأمراض ظاهريّة وفنّ معالجة النّفساء وتوليد الحامل، وعلم الطّبيعة التي تدخل الطّب، وعلم العقاقير والأدوية المفردة أو المركّبة، وصناعة المعالجة ومباشرة المريض"[36]. فوجد أنّ الأصول من مصطلحات علم الطّب والتّشريح لها مقابلها في اللّغة الفرنسيّة عكس المصطلحات الفرعيّة المنعدمة المقابل رغم رجوعه إلى المصنّفات القديمة. صنّف

رفاعة الطّهطاوي المصطلحات الطّبية حسب أهميتها من أصولها إلى فروعها "فصاغه في مركّبات تعبّر عن مضمون المصطلح، غير أنّه لم يلجأ إلى التّعريب لأنّه أدرك أنّ التّعريب سيجعل المصطلح غير مفهوم للقارئ العربي"[37]. لم يعط المقابل الأجنبي للمصطلح العربيّ، بل أخذ يشرح المصطلح بتركيبه وعدم تعريبه لأنّ التّعريب حسب نظره سيزيد تعقيدا للمفهوم. يقتبس المصطلحات من النّصوص الطّبيّة التي ذكرها العلماء القدماء "ومن المصطلحات التي وردت في نص (المراهم) وهي معروفة من قديم، لقد كتب عنها الخوارزمي "المراهم التي تعالج بها الجراحات أو القروح". وكذلك "التّضميد" الذي ذكره ابن أبي أصبيعة في طبقات الأطّباء"[38]. لم يعثر على المقابلات لمصطلحات (المرهم والتّضميد) اللّتين تقابلهما لفظتين وهما: pommade وpansement المستعملتين في العصر الرّاهن.

خاتمة:

ويمكن أن نصل إلى أنّ رفاعة الطّهطاوي بدأ مشروع وضع المصطلحات من تقنية التّرجمة بأنواعها الدّلالية والحرفيّة التي انبثقت منها الطّرائق التّالية: إحياء الألفاظ القديمة واستعماله للعاميّ، والتّعريب، والمُولّد في المرتبة الأخيرة. وتعدّ طريقة التّرجمة أساس الوضع الاصطلاحيّ عند رفاعة الطّهطاوي. وهي تجمع كلّ الطّرائق التي توصّل إليها رفاعة الطّهطاوي بطرائق العلماء القدماء من حُنين بن إسحاق إلى ابن الهيثم؛ ممّا أدّى إلى إثراء اللّغة العربيّة بمفردات جديدة ذات الصّبغة النّهضوية العلميّة حين استعماله لطريقتي إحياء التّراث والتّوليد اللّغوي في اللّغة الأصليّة. وكان رفاعة الطّهطاوي من العلماء السّباقين إلى ترجمة الفكر العلميّ الفرنسيّ إلى اللّغة العربيّة وتمكّن بكلّ الوسائل اللّغويّة بإبلاغ الرّسالة إلى الفكر العربيّ للنّهوض علميّا واجتماعيّا بواسطة وضعه للمصطلحات. وهكذا نهضت الأمم العربيّة في مختلف الميادين الأدبيّة والسّياسية، والاقتصاديّة

والحضاريّة. فرفاعة الطّهطاوي رجل الحكمة والإصلاح وعمود الفكر العربيّ والعلميّ واللّغوي، هو الأوّل من أسّس مدرسة الألسن وكوّن فيها تلامذته، ممّا يدلّ على أنّه ترك إرثا علميا يفتخر به العرب الذين تأثروا. تعدّ منهجيّة وضع المصطلح عند رفاعة الطّهطاوي في عصر النّهضة تمهيدا لظهور جهود الأفراد غير المختّصين كـــ: أحمد فارس الشّدياق، وبطرس البستاني، وإبراهيم اليازجي والأمير مصطفى الشّهابي؛ وجهود المختصين في علوم كـــ: القانون والطّب واللّسانيات. كما تطوّرت هذه الجهود إلى جهود جماعيّة؛ كالمجامع اللّغويّة والعلميّة العربيّة، وبعض المراكز والمؤسّسات التي تهتمّ بقضايا المصطلح كمكتب تنسيق التّعريب بالرّباط الذي أخذ يسهر ويحاول أن يبني التّعاون الفعّال والتّنسيق بين مختلف الأقطار العربيّة في سبيل توحيد المصطلح وإشاعته الذي يظهر في النّصوص التي يقرّها في ندواته ومؤتمراته.

الهوامش:

1- المرجع نفسه، ص 527.

2- جمال الدّين الشّيال، تاريخ التّرجمة والحركة الثقافية في عصر محمّد علي، ط1. القاهرة: دار الفكر العربيّ، 1951، ص 38-44.

3- محمّد سواعي، أزمة المصطلح العربيّ في القرن 19، ط1. بيروت: دار الغرب الإسلامي 1999، ص 115.

4- المرجع نفسه، ص 117.

5- المرجع نفسه، ص 117.

6- المرجع نفسه، ص 116.

7- حلمي خليل، المولّد في العربية، ص 527، 528.

8- جمال الدّين الشّيال، تاريخ التّرجمة والحركة الثّقافية في عصر محمّد علي، ص 188.

9- رفاعة الطّهطاوي، المعادن النّافعة، ترجمة عن الفرنسيّة. بولاق: دار الطّباعة العامرة 1248هـــ، ص 3.

10- محمّد سواعي، أزمة المصطلح العربيّ، ص 119، 120.
11- محمّد علي الزّركان، الجهود اللّغوية في المصطلح العلميّ الحديث، ص 51.
12- رفاعة رافع الطّهطاوي، قلائد المفاخر في عوائد الأوائل والأواخر. القاهرة: مطبعة بولاق 1249هـ، ص 2.
13- المرجع نفسه، ص 2.
14- المرجع نفسه، ص 2-4-23-27-52-57.
15- جمال الدّين الشّيال، تاريخ التّرجمة في عصر محمّد علي، ص 211.
16- إيمان السّعيد جلال، المصطلح عند رفاعة الطّهطاوي بين التّرجمة والتّعريب، تقديم، محمّد حسن عبد العزيز. القاهرة: مكتبة الآداب، 2006، ص 42، 43.
17- جمال الدّين الشّيال، تاريخ التّرجمة والحركة الثّقافية في عصر محمّد علي، ص 212.
18- إيمان السّعيد جلال، المصطلح عند رفاعة الطّهطاوي بين التّرجمة والتّعريب، ص 79.
19- المرجع نفسه، ص 80.
20- المرجع نفسه، ص 81.
21- المرجع نفسه، ص 82، 83.
22- حلمي خليل، المولّد في العربيّة، ص 530، 531.
23- المرجع نفسه، ص 532.
24- المرجع نفسه، ص 532، 533.
25- صالح بلعيد، اللّغة العربيّة العلميّة، ط 1، الجزائر: 2002، دار هومة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ص 75.
26- حلمي خلّيل، المُولّد في العربيّة، ص 534.
27- المرجع نفسه، ص 535.
28- المرجع نفسه، ص 535.
29- المرجع نفسه، ص 536، 537.
30- المرجع نفسه، ص 537.
31- أحمد بدوي نقلا عن: إيمان السّعيد جلال، المصطلح عند رفاعة الطّهطاوي بين التّرجمة والتّعريب، ص 52.

32- المرجع نفسه، ص 51.
33- إيمان السّعيد جلال، المصطلح عند رفاعة الطّهطاوي بين التّرجمة والتّعريب، ص 65.
34- المرجع نفسه، ص 66.
35- المرجع نفسه، ص 67، 68.
36- المرجع نفسه، ص 69.
37 - المرجع نفسه، ص 66.
38- المرجع نفسه، ص 71.